

المؤمن غنيّ في دنياه وآخرته



إنّ حمد الله تعالى في كلّ الحالات التي يمرّ بها الإنسان، تعبّر تعبيراً صادقاً عن عمق ارتباطه بالله، وإيمانه به إيماناً مرتكزاً في وجدانه وعقله، لا تهزّه الضغوطات، ولا تسقطه التحدّيات، حتى عندما يُحرّم الإنسان بعض الأشياء في دنياه، فلعلّمةٍ وحكمة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ويبقى على الإنسان أن يصبر ولا ييأس ويصاب بالإحباط، بل أن يتوقّع حصول الفرج في كلّ آن، فالله تعالى كريم على عباده، لطيف بهم.

والدُّنيا، شئنا أم أبينا، هي دار ممرّ وعبور للآخرة، وهي فانية لا تبقى لأحد، ويظلّ الاعتبار منها هو سيّد الموقف.. لذا علينا التعامل مع هذه الدُّنيا على هذا الأساس، وأن نعيد حساباتنا، ونفكّر فيما نحن عليه من أوضاع وعلاقات، فننظر هل نحن منسجمون مع حدود الله تعالى فيما نقول ونفكّر. ونتصرّف؟

فإذا كنّا منحرفين عن خطّ الله، ومستغرقين في دنينا الفانية، فما علينا سوى التوبة النصوح، والعودة الواعية إلى الله تعالى عن قصدٍ وقناعة واختيار ووعي وفهم، إحساساً منذاً بعظيم المسؤولية الملقاة على عواتقنا، وبأنّ ما ينتظرنا في عاجلتنا وآخرتنا هو حساب الله تعالى العادل، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فماذا أعدنا ليوم الارتحال عن الدُّنيا؟

عندما يريد المرء أن يسافر إلى بلدٍ معيّن، تراه يعدّ العدّة لذلك، فيتزوّد بخير الطعام وأفضل الثياب، ويأخذ معه كلّ ما يشتهي، وهو يعلم أنّّه سيعود بعد فترة إلى بلده، فكيف إذا كان الارتحال إلى دار الآخرة والمقرّ والإقامة، حيث عيشٌ مقيم لا عودة فيه إلى دار الدُّنيا، فهل نحضّر له خير الزاد؟!

فخير ما يمكن لنا تزوّده من دنيانا، هو العمل الصالح المستند إلى تقوى متجدّرة في النفوس، هذه التقوى التي يجب أن نشغل عليها ليل نهار، كي تصبح مَلَكة من صميم تكوين شخصيتنا، تدفعنا إلى

إعادة تصويب ما نحن فيه، وكى نَحسن قراءتنا للأُمور والتعامل معها بالشكل السليم.

والفائز في الدُّنيا هو الذي تزوَّد منها للآخرة، ولم تأسره مظاهرها الزائفة، بل أخذ من عيشه ما يحتاجه من الضروريات التي تجعله قادرًا على الاستمرارية في خطِّ الهداية وخدمة الناس والحياة من حوله.. ويبقى أن الدُّنيا كما هي بمظاهرها وزينتها تعتبر مرتعًا للشيطان، فإنَّها في الوقت عينه مرتع للإيمان والصِّدق والتقوى، ومساحة لفعل الخيرات ونشر الفضائل، ودار عافية لمن أراد التزام خطِّ الهداية وسبيله القويم، ودار غنى يبني من خلالها الإنسان أخلاقياته ومَلَكَاته النفسية والشعورية العالية التي من خلالها يُقبل على الهداية وهو في غاية العزَّة والكرامة.

وحول ما تقدِّم، يقول سيِّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع): «الحمد لله غير مقنوطٍ من رحمته، ولا مخلوٌّ من نعمته، ولا مأْيوسٍ من مغفرته، ولا مستنكفٍ عن عبادته، الذي لا تبحُّ منه رحمةٌ، ولا تُفقد له نعمةٌ، والدُّنيا دارٌ مُنْذِي لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوةٌ خضراء، وقد عجلت للطلاب، والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزُّاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ».

فما أفضل أن يرتحل المرء من الدُّنيا، وهو خفيفٌ من الذنوب، ثقيلٌ بما قدَّمت يداه من الحسنات، وسعت في فعل الخيرات، وما واطبت عليه من حُسن الخلق والورع والخشية، والتقوى التي تُورث السعادة في الدُّارين.

واليوم علينا مسؤولية كبيرة تجاه أجيالنا المشدودة إلى كثير من المظاهر المادِّية، وما أكثرها! من خلال توعيتهم وتربيتهم وتحصين مناعتهم الروحية والأخلاقية، لأنَّ الواقع يضحُّ بالمغربيات، ويحتاج إلى أجيال واعية، تمتلك بناءً روحياً وأخلاقياً يؤهِّلها للوقوف في وجه التحديات، والثبات على الصراط المستقيم.